النشاط الثقافي في الوطن العربي

من مراسلي "الآداب"

الجزائر

وضع الثقافة العربية

***

رغم فقد الوسائل المخصصة ، فان هناك نشاطا ثقافيا ملحوظا في الجزائر منذ مطلع هذه السنة . وقد ساهم في هذا النشاط جامعة الجزائر ، ووزارتا التربية والاخبار ، وبعض المجلات والافراد. ويمتاز هذا النشاط بطابعين بارزين : الصراع بين الثقافة العربية والفرنسية، والصراع بين الاقليمية والقومية . وعلى اية حال ، فان استعراض بعض مظاهر هذا النشاط قد يساعد على وضع النقاط على الحروف.

١ ــ ندوة الاساتذه

تحت عنوان « ندوة الاساتذة » يدير الدكتور ابو القاسم سعد الله ندوات ثقافية تتناول موضوعات شتى . يشترك في كل ندوة عدد من الاساتذة الجامعيين . وقد انعقدت حتى الان ثلاث ندوات هي :

١ ــ « دور الجامعة في العالم الثالث » ، اشترك فيها كل من الدكتورة ليلى الصباغ ببحث عن « الدور التاريخي للجامعة » ، والاستاذ عبد الرحمن الحاج ــ صالح ببحث عن « وضع الجامعة ازاء الايديولوجيات العالمية » .

٢ ــ « رسالة المفكر العربي المعاصر » ، اشترك فيها الدكتور احسان النص ببحث عن « ملامح الفكر العربي المعاصر » ، والاستاذ عبد الله ركيبي ببحث عن « دور الاديب العربي المعاصر » ، والاستاذ محمد سعيدي ببحث عن « علاقة الفكر العربي بالتيارات العالمية المعاصرة » .

٣ ــ « الادب الجزائري الحديث » ، اشترك فيها الاستاذ صالح خرفي ببحث عن « الشعر » ، والاستاذ عبد الله ركيبي ببحث عن « القصة القصيرة » ، والاستاذ حنفي بن عيسى ببحث عن « الادب الجزائري بالفرنسية » .

وقد علمنا أن موضوع الندوة الرابعة سيكون عن « تيارات الفكر الاوروبي منذ ١٩٤٥ » وتجلب الندوة عددا كبيرا من المهتمين بالثقافة والقضايا المعاصرة ، وتثير عادة نقاشا خصبا .

٢ ــ محاضرات وزارة التربية

يقوم القسم الثقافي بوزارة التربية بتنظيم سلسلة من المحاضرات الاسبوعية التي يساهم فيها عدد من المثقفين بالعربية والفرنسية . وقد افتتح هذا المشروع الدكتور ابو القاسم سعد الله بمحاضرة عن « حركة الامير خالد (١٩١٩ ــ ١٩٢٥) » . ثم تلاه الاستاذ عباس ابركان الذي تحدث عن « النقد الدولي والعالم الثالث » ، والاستاذ عبد المجيد مزيان عن « مشاكل الثقافة الجزائرية » ، والاستاذ عمار طالبي عن « فجر الفلسفة في المغرب العربي » والاستاذ مالك بن نبي عن « دور المستشرقين » ، والاستاذ متولي شعراوي (من مصر) عن « ايحاءات الهجرة » ، والدكتور بديع حقي (من سورية) عن « لوركا بلبل الاندلس » ، ثم ندوة خاصة بذكرى « عبد الحميد بن باديس ».

ويبدو ان المشروع سيتواصل . وهو ، كندوة الاساتذة ، قد جعل الجمهور العربي في الجزائر يتتبع باهتمام تفاعلات الفكر الانساني .

٣ ــ الاسبوع الثقافي في قسنطينة

اشرفت وزارة الاخبار على اقامة اسبوع ثقافي (٢٩ مارس ــ ٤ ابريل) في قسنطينة ، عاصمة الشرق الجزائري . وقد احتوى هذا الاسبوع على الوان مختلفة من الثقافة . فهناك معرض فني اشترك فيه حوالي عشرين فنانا بلوحاتهم المتنوعة . كما احتوى المعرض على كتب ومخطوطات ، وعلى نماذج من الصناعات التقليدية ، وعلى طوابع بريدية ، ثم صور مختلفة .

وكان للافلام والروايات (عربية واجنبية) حظ كبير خلال هذا الاسبوع . من بين الافلام العربية « الوحش » لصلاح ابو سيف ، و « ريح اوراس » و « حسن الطيرو » كلاهما للاخضر حمينة ، و « معركة الجزائر » لبورتيكورفو ، و « الليل يخاف الشمس » لمصطفى بديع ، و « فجر المعذبين » لاحمد راشدي . ومن بين المسرحيات « الجثة المطوقة » لكاتب ياسين ، التي عرضت بالعربية . وبالاضافة الى ذلك ، كان هناك عدد من الافلام القصيرة والوثائقية الى جانب سهرات موسيقية ، وحفلات راقصة تمثل الفن التقليدي والحديث .

اما المحاضرات فقد كان لها هي الاخرى مكان بارز خلال هذا الاسبوع . من الذين ساهموا بهذا الصدد الدكتور ابو القاسم سعد الله ، الاستاذ بجامعة الجزائر ، عن « الثقافة العربية في الجزائر خلال القرن ١٩ » ، والسيد عدان ، الاستاذ بالمدرسة الوطنية للفنون الجميلة ، عن « امكانية الرسم الجزائري » ، والاستاذ سفير البودالي عن « عظمة وبؤس الموسيقى الجزائرية » ، والسيد مولود معمري ، الاستاذ بجامعة الجزائر ، عن « نظرية حول الثقافة الجزائرية » ، واخيرا الاستاذ مالك حداد عن « مفتاح لسيرتة » (اي قسنطينة) .

وتجدر الاشارة الى أن جميع المحاضرات التي القيت خلال الاسبوع كانت بالفرنسية ، باستثناء محاضرة الدكتور سعد الله . وهناك وعود من المسؤولين وعلامات في الطريق تشير الى ان هذه المحاولة لم تكن سوى بداية لطريق افضل لخلق تفتح ثقافي شامل .

٤ ــ الكتاب .. والشركة الوطنية للنشر

في جانفي (يناير) ١٩٦٦ تأسست الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ذات الصلاحيات المطلقة في احتكار استيراد وتصدير جميع المطبوعات من والى الجزائر ، سواء كانت عربية او اجنبية . كان الدافع الى تاسيسها نبيلا . فقد كانت هناك شركة فرنسية باسم « هاشيت » تحتكر استيراد وتصدير الكتب الفرنسية ، وبذلك كانت تمثل ، في الحقيقة ، بقية استعمارية . وللقضاء على ذلك حلت الشركة الوطنية محل « هاشيت » .

وقد نشرت اخيرا جريدة « المجاهد » اليومية الصادرة بالفرنسية تحقيقا في خمس حلقات حول هذا الموضوع . ورغم ان المحقق ، السيد الزواوي بن عمادي ، قد اهمل تقريبا حالة الكتاب العربي ، فان ما جاء في التحقيق من اراء وقضايا جدير بالتلخيص على الاقل . بدأ السيد ابن عمادي بلمحة عامة عن وضع الكتاب في الجزائر . ومن رأيه ان الجزائر ما دامت لا تملك وسائل الانتاج الذاتية الكافية ، فلا بد لها من الاستيراد من الخارج : فرنسا والمشرق العربي .

وفي المقالين الثاني والثالث لخص المحقق رأي الطلبة واصحاب المكتبات التجارية . وانتهى الى ان جميعهم تقريبا قد ابدوا تحفظات وشكاوى : منها عدم الكفاءة ، وقلة الكتب الواردة ، وعدم وجود الكتب المقررة ، وضعف الصلة بتجار الكتب خارج العاصمة . وهنا نلاحظ ان ابن عمادي اكتفى بايراد اراء اصحاب المكتبات التي تبيع الكتب بالفرنسية . ولم يذكر بخصوص الكتاب العربي سوى رأي صاحب مكتبة النهضة .

وقد شكا صاحب هذه المكتبة من أن مسؤولي الشركة الوطنية لا يفهمون عقلية الناشرين في المشرق العربي ، وأنهم لا يدركون حاجة القارىء الجزائري بالعربية ، وان الشركة ، اذا امكنها ، على علاتها ، ان ترضي رغبات قراء الفرنسية ، فانها لا تملك اية وسيلة لارضاء رغبات قراء العربية . واضاف انه اصبح لا يستطيع ان يكون بائع كتب ، وانه قد يضطر الى تحويل مكتبته الى دكان سلعة اخرى غير الكتب لكي يعيش . وطالب اخيرا باعطاء الصلاحيات لاصحاب المكتبة العربية لاستيراد الكتب مباشرة من المشرق .

اما في المقال الرابع والاخير فقد اعطى رأي الكتاب الجزائريين ثم خاتمة . ومن الملاحظ انه لم يذكر اي رأي لكتاب العربية . يقول مولود معمري ان على الكتاب الجزائريين الذين سبق لهم النشر في الخارج (فرنسا ، طبعا !) ان يواصلوا عملهم لفائدة الجميع (؟) اما بالنسبة للشبان فمن الافضل لهم ، بناء على رأيه ، النشر عن طريق الشركة الوطنية . وقد لاحظ ان علاقة الكاتب والناشر ما زالت غير محددة في الجزائر . اما نادية غندوز فقد اعترفت بان الشركة تعطي الى الكتاب الشباب فرصة للظهور . وشكا كاتب آخر من ان الشركة تتدخل في الاعمال الفكرية باعادة تحريرها . وقال اخر ان الشركة لم تكتشف حتى الان اية موهبة رومانسية ، الخ.

ورغم ان السيد ابن عمادي قد ختم تحقيقه بقوله : « نعم للاحتكار ! » فان المشكلة ما زالت قائمة . ونعتقد انها ستظل كذلك الى ان يجد المسؤولون حلا لارواء العطش الثقافي الذي تعاني منه الجزائر ، ولا سيما العطش الى الفكر العربي .

٥ ــ مأساة الكتاب العربي

ابتدات مأساة الكتاب العربي في الجزائر منذ ١٨٣٠ ، حين نزل الغرباء بارض الوطن واقاموا سدودا عالية لخنق الثقافة العربية عامة . وقد توقع كثير من الجزائريين ان الاستقلال يعني تحطيم تلك السدود ، ولكنهم سرعان ما صدموا بوضع سد من نوع اخر في وجه الثقافة القومية . حقا ان بلدان العالم الثالث في وضع يجعلها عرضة للتاثير من الخارج ، ومن ثمة يصبح توجيه الراي العام امرا لا مناص منه للمحافظة على حرية واستقلال البلاد المعنية . ولكن هناك فرق بين الاحتكار والتنظيم . طبعا يرى كثير من الغيورين على الفكر القومي ضرورة تنظيم استيراد وتصدير المطبوعات الاجنبية . ولكن هل يمكن اعتبار الكتاب العربي انتاجا اجنبيا ؟

وفي ميدان النشر لم يظهر اي كتاب بعد خلال هذا العام . اما في العام الماضي فقد ظهرت عدة اعمال ، ولكنها بسيطة جدا . ومما يذكر ان الشركة الوطنية للنشر والتوزيع لم تنشر في العام الماضي بالعربية ، حسب علمي ، سوى ثلاثة دواوين : ديوان محمد العيد ، و « أوراق » لابو القاسم خمار ، و « الارواح الشاغرة » لعبد الحميد بن هدوقة . ومن الطبيعي انها ظهرت اعمال اخرى خارج نطاق الشركة، مثل « بحيرة الزيتون » (قصص) للدكتور ابو العيد دودو .

والحديث عن الكتاب العربي ــ الجزائري يجر الى الحديث عن انتاج الجزائريين المنشور في المشرق العربي . ان هذا الانتاج يجد صعوبة كبيرة في دخول الجزائر لانه يعامل كبضاعة اجنبية . وهناك عدد من الكتب من هذا النوع ما زالت تعاني من هذه المعاملة . من ذلك « دراسات في الادب الجزائري الحديث » وديوان « ثائر وحب » للدكتور ابو القاسم سعد الله (نشر دار الاداب ، بيروت) ، و « احاديث في الادب والثقافة» لعبد الله ركيبي (مصر)، و «الرصيف النائم» للسيدة زهور ونيسي (مصر ايضا) ، و « ابن باديس حياته واثاره » لعمار طالبي (سورية) . وقد يكون هناك غيرها .

اما بخصوص المجلات والصحف العربية فحالتها تذكر مرة اخرى بمأساة الثقافة العربية في الجزائر . ليس هناك سوى صحيفة واحدة عربية يومية لشعب عربي تعداده اكثر من اثني عشر مليونا (مقابل ثلاث صحف بالفرنسية) . وهناك جريدة واحدة عربية اسبوعية (مقابل اثنتين بالفرنسية) . اما الدوريات الشهرية فهناك ، على ما اعرف ثلاث فقط ، وهي « القبس » و « الجيش » و «المجاهد الثقافي» (ونلاحظ ان الاخيرة ما زالت غير منتظمة في الصدور) . ورغم ان المستوى الثقافي لهذه الدوريات ما زال ضعيفا عموما ، فانها ، بلا شك ، تعكس الاتجاه العربي للبلاد ، وتجمع حولها مثقفي العربية الذين يشعرون أن الوضع الثقافي العام قد جعلهم غرباء في بلادهم .

ومما زاد الامر سوءا ان هذا الفراغ الفكري لم يملأ بانتاج الوطن العربي . فهناك كتب ومجلات عربية تصدر في المشرق ، ولكنها لا تصل الى ايدي القراء العرب في الجزائر . وفي مقابل ذلك تفيض الاسواق المحلية بالانتاج الاجنبي .

والخلاصة ان وضع الثقافة العربية في الجزائر يمر بمرحلة دقيقة ، وان هناك ضغوطا كثيرة تهدف الى رمي الفكر العربي بالقصور تبريرا لمضاعفة الجهود الرامية الى « اجنبة » الجزائر حضاريا . ولا شك ان الفكرة الاقليمية تغذي هذا الاتجاه .

الجزائر — أ٠ س٠

ج٠ع٠م٠

رسالة من : سامي خشبة

النظرية الثورية والجماهير الثورية

* * *

ابدأ كتابة هذه الرسالة في يوم الخميس ٢ مايو سنة ١٩٦٨ . اليوم الذي يخرج فيه الناخبون المصريون للادلاء برأيهم في برنامج ٣٠ مارس الذي طرحته القيادة السياسية على الشعب العربي في مصر بغرض وضع الاسس العملية لبدء مرحلة جديدة من مراحل العمل السياسي الثوري في ج٠ ع٠ م٠ وهو اليوم نفسه الذي تحشد فيه اسرائيل دعايتها وجانبا كبيرا من قواتها العسكرية لتستعرض هذه القوة في شوارع القدس العربية المحتلة الصامتة المغلقة الابواب في وجه استعراض العدو ، اعتصاما وانتظار اليوم غير البعيد تعود فيه الامة العربية الى ميدان القتال لتصفية الحساب .

وبينما تشير كل الدلائل في الجمهورية العربية المتحدة الى موافقة اجماعية من جانب جماهير الشعب العربي في مصر ، تأتي برقية تحملها وكالة رويتر البريطانية تقول ان الفدائيين الفلسطينيين العرب (وتسميهم الارهابيين) قد نجحوا في الوصول الى منطقة تجمع قوات العرض الاسرائيلي واستطاعوا ان يضربوا مؤخرة هذه القوات بالصواريخ وقذائف الهاون وان يوقعوا بها خسائر فادحة . لم تكن الوكالة قد عرفت تفاصيلها بعد . ثم آثرت الوكالة الاستعمارية من بعد ذلك الصمت ، حرصا على سمعة الجيش الاسرائيلي رغم انها كانت قد وعدت في نهاية برقيتها الاولى والوحيدة بمتابعة تفاصيل هجوم الفدائيين العرب .

الشعب العربي في مصر يعلن استعداده لمواصلة النضال من اجل النصر ، ومن اجل مواصلة بناء الاشتراكية والديموقراطية في وطنه العربي ، بينما طلائع مناضلة من ابناء الشعب العربي في فلسطين تواصل كفاحها المسلح الذي يعد البداية العملية الصحيحة لتحرير فلسطين واقامة الدولة الفلسطينية الديموقراطية المتحررة من التعصب ومن العنصرية ومن سيطرة الدوائر الصهيونية العدوانية المتواطئة مع الامبريالية العالمية .

الشعب العربي في مصر يبدأ مرحلة يستجمع فيها قوته ويعيد تنظيم بنائه الداخلي السياسي والاقتصادي والعسكري حتى يكون في الوضع الملائم لمواجهة كافة احتمالات الصراع من اجل تحرير الارض

واستخلاص الحق وتحقيق حرية تقرير المصير للشعب العربي كلـه . وطلائع الشعب العربي الفلسطيني تستمر في عملها المسلح من اجـل الاهداف نفسها ، فوق الارض التي اغتصبت وضاع فوقها الحق وفوقها ضاع حق تقرير المصير .

ما الذي يعنيه كل ذلك بالنسبة للنشاط الثقافي في الجمهورية العربية المتحدة ؟.

في رسالة العدد الماضي تناولت عددا من مقالات الاستاذ محمـود أمين العالم كان قد نشرها في مجلة المصور القاهرية . وفـي الرسالة اشرت الى ما قاله العالم عن الميثاق الوطني الـذي اقره مؤتمر القوى الوطنية في ج. ع. م. سنة ١٩٦٢ ، وكيف ان هـذا الميثاق كـان مـن الممكن ان يكون بداية معقولة لنشاط نظري يبذله المفكرون الثوريـون المصريون من اجل الوصول الى صياغة النظرية الثورية المصرية المطلوبة من اجل تغيير العقلية المصرية ودفعها الى مستوى العصر الـذي نعيش فيه ، على أن يستند هؤلاء المفكرون على ما احتواه الميثاق مـن أساس نظري يتمثل في نظرته العلمية الى التاريخ والصراع الاجتماعي وفهمـه لحتمية الحل الاشتراكي .. الخ . وقد تمتع حديث الاستاذ العالم فـي نظري بصدقه النسبي وجدارته بالتلخيص والعرض . واحـب الان أن أضع في مقابله تصورا آخر للعمـل علـى تغييـر العقلية المصرية ، تصورا تحقق بالفعل أو أنـه قـد شرع يشق طريق التحقق الواقعـي والفعلي .

لقد نعى محمود أمين العالم على المثقفين الثوريين المصريين تخلفهم عن محاولة بناء الفكر النظري الثوري القائم على دراسة الواقع المصري والقائم ـ في الوقت نفسه ـ على الجانب النظري من الميثاق ، هـذا الجانب الذي احتواه الميثاق بين طياته ولـم يفرد فصلا او فصولا خاصة به .

ولا يشك احد في تقصير هؤلاء المثقفين في ذلك المجال ، هـذا التقصير الذي ينبع لا من عدم احساسهم بالمسؤولية ، بقدر ما ينبع من استسلامهم الكامل لعفوية الاحداث اليومية ، واكتفائهم بتحليل تلـك الاحداث يوما بعد يوم . ولكن حقيقة الواقع الثوري المصري اوسع بكثير من تقصير المثقفين الثوريين فـي بنـاء النظرية الثورية المصرية او شروعهم في هذا البناء واسراعهم اليه . فالحقيقة ان النظرية الثوريـة لا يمكن ان تكامل شروط بنائها أو خروجها الى الوجود الا بناء علـى حركة ثورية تشمل القاعدة العريضة من جماهير الطبقات الثورية التي تأتي النظرية لكي تعبر عن خلاصة تجاربها ومواقفها ونضالاتها ، ولكـي ترسي الاساس العلمي المدروس لخلاصة مفاهيمهـا العفوية وخبراتها التي أكتسبتها من واقع حياتهـا العملي دون تخطيط سياسي مسبق ودون توجيه نظري يزيد عن توجيه المؤشر العفوي الذي تستخلصه هذه الجماهير من حركة الواقع نفسه ومن تحركها هي نفسها في قلب هـذا الواقع تدفعها مصالحها وتحددها علاقات القوى الاجتماعية فيه .. ومن خلال احتدام المتناقضات بين الجماهير الثورية وبين أعدائها ، تتدفـع اقسام متزايدة من هذه الجماهير الى العمل السياسي الثوري ، حيث تصبح تجاربها أكثر تخطيطا وخبراتها اكثر تحديا وحيث تتخلص حركتها من عفويتها وتشتتها وتكتسب وعيا متزايدا بحقيقة في هذه التناقضات، وبحقيقة القوى المشتركة في الصراع والعلاقات القائمة بينها . في هذه الحالة فقط يمكن للفكر الثوري ، ويمكن للمثقف الثوري ان يصلا الـى الوضع الذاتي الملائم لصياغة النظرية الثورية وتشييد بنائها .

اننا لا نستطيع أن نفصل المثقفين الثوريين عـن كتلـة الجماهير الثورية ، ولا نستطيع اعتبارهم طبقـة مستقلة بكيانها الاجتماعي او بمصالحها ، مثلما قال جمال عبد الناصر في حديثه مع المثقفين فـي جامعة القاهرة . وهكذا لا نستطيـع ان نطالب المثقفين بصياغة نظرية ثورية كما لو كنا نطالبهم أن يقوموا بانجاز عملهم في معزل عـن حقيقة الحركة الثورية كلها وفي معزل عن مقدار انجذاب الجماهير الثورية ، او صاحبة المصلحة في الثورة الى العمل السياسي الثوري ـ او بتعبير ادق ـ لا يمكن ان نطالب هؤلاء المثقفين بصياغة النظرية الثورية دون ان نضع في اعتبارنا مقدار نضج الثورة نفسها لذلـك . ليس صحيحا ان النظرية الثورية هي التي تصنع الثورة ، وانما تصنع الثورة ـ فـي مسار نضجها الطويل ـ نظريتها الثورية في اللحظة الملائمة ، كما انـه ليس صحيحا ان النظرية تعود بحق صياغتها لكي توثق الثورة الـى كلماتها فلا تتحرك الا بمقدار ما تسمح لها الكلمات بذلك . ان النظريـة اذا فعلت هذا استنادا الى السلطة فانما تفقـد جوهر ثوريتها الاصيل وهو انها كانت من صنع الثورة نفسها وكانت تعبيرا عـن اتحاد الثورة بحركة الواقع وتساوقها مع اتجاه هذه الحركة بقدر ما كانت تعبيرا عن ارادة التغيير الثوري الذي تصنعه الجماهير وخطط هـذا التغيير وأسسه واهدافه .

وهكذا فلا يسعنا الا ان نتصور المثقفين الثوريين المصرين في نفس مستوى تصورنا للجماهير الثورية المصرية ، ولا يسعنا ان نتصور نضج هؤلاء المثقفين وقدرتهم على صياغة النظرية الثورية المصرية الا في ارتباط بتصورنا عن مقدار نضج الثورة المصرية نفسها ، هـذا النضج الـذي لا مقياس له الا مقدار انغماس الجماهير الثورية فـي عملها السياسي الثوري .

اننا لا نبرر بهذا التصور ما نسميه بتقصير المثقفين الثوريين في مصر عن « اداء واجبهم » بتقصيرهم عن صياغة النظرية الثورية المصرية. فالاسلم هو ان نسمي هذا التقصير « قصورا » عن القيام بهذه الصياغة او بعدا عن الوضع الملائم للقيام بها . كذلك فاننا لا نبرر بهذا التصور « تجريبية » حركة الثورة ، فان استفادة هذه الحركة مـن خبرات الثورات المعاصرة لها ، واستفادتها في تحديد اتجاهها من حساسيتها تجاه حركة الجماهير الثورية وتطلعاتها ومطالبها ، هما ما يحميان الثورة من سيطرة هذه النزعة التجريبية . وفي الوقت نفسه فاننا لا نلغي اهمية وجود « النظرية » ولا نلغي دورها ، ولكننا نؤكد ان النظرية لا يمكن ان « تصطنع » اعتسافا قبل ان يتهيأ الواقع الثوري لولادتها ،

مكتبة انطوان

تقـدم

معرض الكتاب العربي

لدار المعارف مصر ـ لبنان

ابتداء من ٢٣ ـ ٥ ـ ٦٨ لغاية ٥ ـ ٦ ـ ٦٨

بحسم ٢٠ الى ٤٠٪

والقبول بها بعد ولادتها دليلا للحركة الثورية ومرشداً لها .

والحق هو ان تاريخ الفكر الراديكالي المصري كله لم يشهد محاولة شاملة لصياغة نظرية عامة او « مذهب » فكري يعبر عن حركة الواقع المصري وانعكاسها على الفكر تعبيرا شاملا ، مثلما فعل المفكرون الكلاسيكيون الالمان ، او مثلما فعل مفكرو الثورات البورجوازية الكبرى في اميركا وانجلترا وفرنسا ، ومثلما فعل لينين في روسيا او ماو تسي تونج في الصين بالنسبة لثورتيهما الاشتراكيتين . ولكن هذا التصور النابع من النظر الى مجال « تاريخ الفكر » المصري وحده لا يكفي لفهم هذه الظاهرة . فالحق هو ان البورجوازية المصرية قد عجزت على الدوام عن تحريك جماهير الشعب كله وراءها في ثورتها ، او وراء شعاراتها الخاصة ، بل كانت تسرع الى ضرب هذه الجماهير اذا احست بأن حركتها اوشكت ان تفلت من يديها او اوشكت على الخروج عن الاطار الذي حددته القيادة البورجوازية لها ، مثلما فعلت القيادة البورجوازية ـ او الجناح الاكثر تقدمية من هذه القيادة متمثلا في سعد زغلول وحكومته الوفدية الاولى ـ في نهاية سنوات الثورة الوطنية بعد سنة ١٩١٩ . ولعل هذا هو السبب الرئيسي فيما اعترى الثورة البورجوازية المصرية نفسها من تخبطات ومن جوانب القصور والعجز ومن تخوف من الوصول الى اهدافها واهداف طبقتها نفسها . ولعل هذا النظر السياسي القصير والمتخبط والعاجز هو ما انعكس على الفكر المصري الليبرالي نفسه فاصابه بالعجز عن تقديم تصور شامل وكلي عن الواقع المصري وعن حركته .

ولكن هذا الحكم لا ينبغي ان ينسينا ما قدمه هذا الفكر الليبرالي نفسه من جهود في سبيل تغيير العقلية المصرية وتطعيمها بالروافد الجديدة الجياشة منذ كتب رفاعة رافع الطهطاوي كتبه التعليميةالاولى بعد عودته من فرنسا في اوائل القرن السابق . لقد جددت هذه المحاولات الجزئية المتعددة والكثيرة عقلية الشعب المصري وان لم تحدث بها ثورة شاملة تشبه ثورة العقلية الاوروبية في القرنين السادس عشر والسابع عشر او شبه ثورة العقلية الروسية في اوائل القرن العشرين . وقد حدث هذا التجديد القوي ـ وان ظل جزئيا ومحصورا في دائرة المتعلمين البورجوازيين ـ دون ان يقدم مفكرو البورجوازية نظرية شاملة تجسد مجموع او خلاصة خبرة العقلية البورجوازية ونظرتها ، المستمدة من خبرتها مع الواقع نفسه ، لان هؤلاء المفكرين ، انما حددهم اطار هذا الواقع وامكانياته ومدى قوة الزخم الثوري الذي جاش داخله .

ويبدو ان هذا العجز كان قد اصبح وراثيا عند اجيال المفكرين او المثقفين المصريين ، طالما استمرت حركة الواقع في المستوى نفسه ، وطالما استمر عجز هذه الحركة عن جذب القسم الاكبر من الجماهير الثورية . فقد بدا وضوح العجز الفكري نفسه جليا عند المثقفين الثوريين الاشتراكيين ، فلم يستطيعوا أن يصوغوا تصورهم النظري المصري ، او نظريتهم الثورية المصرية ، رغم كثرة المحاولات لتطويع افكار الاشتراكيين الاوروبيين ـ من ماركسيين وغيرهم ـ للواقع المصري . وقد تكون هناك اسباب كثيرة لعجز المثقفين الاشتراكيين في مصر عن صياغة نظريتهم الثورية ـ أكثرها شهرة هو عجزهم عن تطويع الفكر الاشتراكي الاوروبي للتراث العربي التقدمي وعدم قدرتهم على صياغة افكارهم من خلال تصورات هذا التراث ولغته ومصطلحاته واساليبه . ولكننا نعتقد ان اهم اسباب هذا العجز كان هو عدم قدرة هؤلاء المثقفين على تبين حقيقة القوى الاجتماعية القادرة على حمل عبء الثورة الاشتراكية ودفعها الى التحقق ، ومن ثم عجز هؤلاء المثقفين عن « تحريك » الجماهير بقوة التنظيم والدعاية ، بعد ان عجزوا عن انتهاز فرصة اية هبة تلقائية لهذه الجماهير من أجل تنظيمها وتوجيهها وتحويلها الى بذرة عمل ثوري منظم ومستمر ، يجذب الى مركزه امواجا متزايدة من الجماهير المستعدة للثورة او المتهيئة لتقبلها .

ورغم هذا العجز الذي أصاب المثقفين الاشتراكيين القدامى في مصر ، فلا يمكن لاحد ان ينكر أثر جهدهم الثقافي والنضالي في بذر كثير من بذور الفكر الاشتراكي ، العلمي وغير العلمي ، في تربة كانت مهيأة تماما لتلقي هذه البذور وتغذيتها والمحافظة عليها وتنميتها. وعلى ذلك فليس في وسع أحد أن ينكر دور هؤلاء المثقفين الاشتراكيين في تهيئة المناخ الفكري المصري لاحداث التغيير الثاني للعقلية المصرية منذ بداية القرن التاسع عشر وتحويلها نحو النزعة العلمية والروح الجماعية والتضامن الانساني .

لقد تغيرت العقلية المصرية مرة دون ان تكون هناك نظرية مصرية للثورة البورجوازية ، وها هي العقلية المصرية توشك ان تلج مرحلة التغيير الثانية قبل ان « تصاغ » النظرية المصرية للثورة الاشتراكية . ولكن التغير في ظل الثورة الاشتراكية لا يمكن ان يترك للحركةالعفوية للواقع . فالحركة العفوية لا يمكن أن تولد تصوراً علميا للعالم وللتاريخ وللمجتمع وللانسان ، وهو التصور الذي بدون أن تحصل عليه الجماهير يستحيل « اتمام » الثورة الاشتراكية . قد يمكن للتحول الاشتراكي للمجتمع ان يبدأ دون وجود « نظرية » أشتراكية متكاملة خاصة بهذا المجتمع ، وهذا هو ما حدث في مصر والجزائر وغينيا على سبيل المثال، الا انه من المستحيل على هذا التحول أن يستمر ، أو أن يصل الى مرحلة نضجه الحقيقي ، دون وجود هذه النظرية التي تكفل ترشيد العمل الثوري وتنظيمه وتنسيقه في كافة مجالاته الاجتماعية من اجل تحقيق النمو الاجتماعي المتكافىء بين القاعدة المادية لهذا النمو وبين البناء الفوقي المتمثل في اخلاقيات الناس وفي كل ما يمس تفكيرهم او ثمار « عقولهم » . قد يكفي في بداية التحول الاشتراكي وجود « فكر » نظري عام ، غير متساوق تساوقا كاملا مع حركة الواقع نفسه وغير نابع من هذه الحركة او غير مكتمل ـ فكريا ـ كبناء نظري ، ولكن هذا الفكر النظري ، الذي قد يكفي لوضع « التحليلات » اليومية لا يكفي لاعطاء تصور شامل عن حركة الواقع ومن ثم فلا بد ان تترك هذه الحركة لعفويتها ولا بد أن يترك الفكر لاستجاباته التلقائية واليومية

صدر في الاسواق

للدكتور بديع حقي

رواية

جفون تسحق الصور

اتجاه جديد في ادب الرواية العربية المعاصرة

يطلب من دار العلم للملايين وجميع المكتبات

لهذه الحركة العفوية . وهذا هو ما يمكن ان يدفع بالثورة كلها الى التجريبية القاتلة ، طالما اصبحت الثورة في السلطة فعلا واصبحت بهذا الوضع قادرة على « تنفيذ » كل ما يخطر على بالها من افكار لا تستند الى خطة نظرية .

لقد عجزت قيادة الثورة البورجوازية المصرية عن تحقيق اهدافها طوال نصف قرن كامل لانها خشيت من الجماهير منذ بداية الثورة البورجوازية فاوثقت حركتها او حاولت دائما أن تضغط على هذه الحركة وان تضربها . ولا يمكن للثورة الاشتراكية ان تكتمل او تحقق اهدافها دون مشاركة فعلية من نفس هذه الجماهير صاحبة المصلحة في الثورة الاشتراكية والتي لا يمكن ان تتحقق الثورة الاشتراكية الا بقوة حركتها الحرة الثورية .

وربما كان هذا هو المغزى الرئيسي لبرنامج ٣٠ مارس الذي يوافق عليه شعب الجمهورية العربية المتحدة اليوم . مغزاه : نقل قاعدة السلطة السياسية وقمتها الى جماهير الشعب العربي الثورية في مصر ، واطلاق حرية الحركة السياسية والمشاركة في العمل السياسي الثوري لهذه الجماهير . وباستكمال هذا الشرط وحده يمكن للثورة الاشتراكية ان تنضج ويمكن لمثقفيها الثوريين ان يصبحوا في الوضع الملائم لصياغة نظريتهم .

ففي العمل السياسي الثوري تتعلم الجماهير السياسة ، وتكتشف نفسها وتكتشف اصدقاءها واعداءها وقوتها الحقيقية وقوتهم الحقيقية. تكتشف ان العمل وحده هو الذي يصنع الواقع ويغيره وان العمل السياسي الثوري ، عملها هي السياسي الثوري هو الذي يصنع الواقع وهو الذي يغيره . وفي الثورة ، وفي العمل السياسي الثوري تتعلم الجماهير صراع الطبقات ، وتتعلم كيف توحد جبهة طبقاتها الثورية من اجل تحقيق اهداف نضالها في كل مرحلة . فتكتشف المعنى الحقيقي لوجودها الاجتماعي وتتعامل مع نفسها ومع الاخرين طبقا لهذا المعنى الذي اكتشفته . وفي الثورة ، وفي العمل السياسي الثوري ، تكتشف الجماهير من هم اصدقاء الطريق على طول مداه ، ومن هم اصدقاء المعركة او المعركتين ، ومن هم اعداء الحرب على امتدادها ، ومن هم الاعداء الذين سيسقطون بعد معركة او معركتين .

هكذا ، يصبح الشغل الشاغل للجماهير المندمجة في العمل السياسي الثوري ، هو واقعها المعاش ومصيرها السياسي وعلاقات القوى التي تكون هي طرفا فيها ، ولا تكون ثمة فرصة لتجار الفكر الغيبي والاحلام الخيالية للسيطرة على عقلية الجماهير وامتصاص طاقة سخطها وحلمها بالخلاص وتحويلها في سراديب الاحلام الاسطورية المظلمة ، استنادا الى ما تحمله هذه الجماهير نفسها من بقايا الافكار الغيبية التي سيطرت عليها طوال قرون .

وهكذا يصبح تغيير العقلية السائدة بين الجماهير امرا واقعيا وعمليا ، وليس مجرد مشكلة نظرية مطروحة للتأمل والمناقشة .

ولما كنا لا نستطيع ان نفصل بين المثقفين الثوريين ، وبين الجماهير الثورية ، فنستطيع ان نقول انه في الثورة ، وفي العمل السياسي الثوري ، يزداد التحام هؤلاء المثقفين بالواقع ، ويزداد احساسهم به ، وادراكهم لابعاده وحقائقه والقوى الاجتماعية التي تكونه ، يزداد وعيهم بحاجتهم الى « معرفته » .. تاريخه وفلسفاته وادابه وسياساته واقتصادياته ولهجاته وفنونه وصنائعه وما اثر فيه وما تاثر به وما افرزه وما لم يستطع افرازه وطبقاته ومستوى تطوره ونوع العلاقات التي تحكمه .. هذه المعرفة الشاملة بالواقع ، اذا ما امتزجت بما يمتلكونه من المنهج العلمي في التفكير ، لاصبحوا في الوضع الذاتي الملائم للقيام بعملهم في مجال تخصصهم ... ان يصوغوا النظرية الثورية المصرية ، وان ينظروا الى الواقع الثوري نظرة شاملة لا تكتفي بتحليل الاحداث يوما بيوم ، ولا تستسلم لتلقائية التأمل او جمود النظرة الاعتقادية الميتة .

القاهرة — سامي خشبة

ملحق للرسالة :

لقد وافقت جماهير الشعب العربي في مصر على برنامج ٣٠ مارس موافقة شبه اجماعية ، وبدأت الخطوات التنفيذية لاجراء الانتخابات لبناء جبهة قوى الشعب العاملة ، او الاتحاد الاشتراكي العربي التي ستصل بنفس طريق الانتخاب الى المؤتمر القومي لهذه الجبهة وهو الذي سينتخب اللجنة المركزية التي ستتولى بناء التنظيم السياسي القائد للجبهة .

في هذه الفترة حدثت عدة احداث كانت جديرة بالمتابعة والتعليق مما يدور في مجال النشاط الثقافي من الزاوية التي تشغل الان اهتمامنا جميعا : زاوية تغيير العقلية السائدة وتحويلها الى الايمان بالعلم والحرية والشجاعة وكرامة الانسان .

حدث أن اوقف الدكتور ثروت عكاشة وزير الثقافة عرض مسرحية « العرضحالجي » لميخائيل رومان ، ثم عاد فسمح بعرضها بعد ان امر بحذف بعض الجمل والعبارات من حوارها .

وحدث ان برزت حكاية ظهور شبح او طيف السيدة العذراء ام الرسول عيسى المسيح على قبة احدى كنائس القاهرة .. وما انتاب الصحافة المصرية ، بل والتليفيزيون المصري من جنون جريا وراء هذه الظاهرة .

وحدث ان اصدر مجموعة من المثقفين الشبان مجلة ثقافية «ادبية» اطلقوا عليها اسم « مجلة ٦٨ » ، واعلنوا في تصديرهم للمجلة ، انه رغم ان مجلتهم ليست مجلة سياسية « فهي تؤمن بأنها لو نجحت في الكشف عن حقيقة ما يختلج في جوانح الكتاب والشعراء والفنانين من ابناء جيل اليوم ، تكون قد اوفت بالعهد الذي قطعته على نفسها بالمشاركة في معركة التحرير والبناء .. » .

وقد كنا نرجو ان نتناول هذه الاحداث بالمناقشة ، ولكن الاحداث الجزئية لا بد ان تتنازل عن بعض مكانها للاحداث الاكثر شمولا . وقد كانت الحركة السياسية الشاملة التي احدثها برنامج ٣٠ مارس والاستفتاء عليه من الاهمية بحيث استغرق التعليق عليها رسالة هذا الشهر كاملة ، فنرجو ان نتناول هذه الاحداث او بعضها في رسالة الشهر القادم .

س . خ .

منشورات دار الآداب

تطلب في
الدار البيضاء (المغرب)
من
مكتبة دار العلم
للنشر والتوزيع
٤٠ شارع الملكي ـ الاحباس
تلفون ٦٢٣٠٩
***
تطلب في دمشق
من وكيل الدار
مكتبة النوري
شارع سنجقدار